

أشكال الصراع في رواية "جسد يسكنني" للروائية الجزائرية ديهية لويز

The Conflict in the novel "A Body That Inhabits Me" by contemporary Algerian novelist Dihya Louise

الدكتورة: زينب نسارك

Nessark Zineb

جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية (الجزائر)، zineb.nessark@univ-bejaia.dz

تاريخ النشر: 2026/05/31

تاريخ القبول: 2026/03/24

تاريخ الاستلام: 2025/04/04

الملخص : تحاول الدراسة تسليط الضوء على رواية "جسد يسكنني" للروائية الجزائرية "ديهية لويز"، واستكشاف العلاقة بين الصراع الداخلي للشخصيات والتحولات الاجتماعية وكيف انعكس ذلك على البنية الروائية وفضائها النصي الذي تتصارع فيه الذات وتتصادم مع نفسها ومع محيطها الخارجي، إذ تظهر فيه البطلة فريدة متمردة على عاداتها وتقاليدها، ومواجهة بشدة النظام القروي الذي نشأت فيه، بعد رفضها لسلطة زوجها القروي الفلاح، وهو ما جعل حدة الصراع تشتد، خاصة بعد قرارها التخلي عن ابنتها أحلام، وقد استطاعت الروائية رسم صورة عن عمق الصراع بين المرأة والرجل وبين الريف والمدينة عن طريق توزيع أدوار الشخصيات الروائية، التي تتقاسمها المرأة والرجل الممثلين في فريدة وحسين. ولهذا فإن البحث ينطلق من مشكلة تصوير الروائية للصراعات الداخلية للشخصيات في سياق التغيرات الاجتماعية وتأثير ذلك على تطور الأحداث وبنية الشخصيات، كما يركز على أهم عناصر الصراع وعلى أشكاله وبعده النصي، أو دوره في تشكيل الفضاء العام للرواية.

كلمات مفتاحية: ديهية لويز، رواية جزائرية، جسد يسكنني، صراع داخلي، صراع خارجي.

Abstract

The Algerian feminist novel has attempted, through its various experiences, to portray an aspect of women's suffering and their internal and external conflicts. Therefore, this study seeks to shed light on one of the contemporary Algerian feminist novels by the writer Dihya Louise, who made her novel A Body That Inhabits Me a textual space in which the self struggles with itself at times and clashes with its external environment at other times. The novel depicts various forms of conflict: between women and men, between rural and urban values, and between customs and traditions versus modernity. This is revealed through the distribution of roles among the novel's characters.

Keywords: Dihya Louise, Algerian novel, A Body That Inhabits Me, internal conflict, external conflict.

1. مقدمة:

يعد الصراع أحد الركائز المهمة في الأعمال السردية، كونه يساهم في بناء الأحداث والشخصيات، فهو يحدث ضمن الحبكة التي تمنح للخطاب الروائي تماسكا وانسجاما لعناصره الدرامية، إنه يعكس رؤيا الشخصيات ومدى تفاعلها مع الأحداث ورفضها للواقع بكل تناقضاته، فالصراع هو الوسيلة المهمة التي يمرر بها الأديب أفكاره التي تحاول ترجمة خبايا الإنسان المعاصر، والشحنة الإيجابية التي يتمسك بها هروبا من الاستسلام أمام الأمر الواقع، ويعتبر الصراع أحد عناصر الدراما المهمة والذي يشكل مجموعة من التفاعلات النصية التي تظهر من خلال تحركات الشخصيات في النص، ولهذا فلا تستطيع النصوص السردية (الروائية منها خاصة) الاستغناء عنه، بل إنها تجعله بؤرته الأساسية التي تنطلق منها لبناء استراتيجيتها النصية. ورواية "جسد يسكنني" للروائية الجزائرية ديهية لوبز من الروايات التي يشكل الصراع أهم ركائزها الأساسية وهو ما نحاول البحث فيه.

– أهداف البحث: تكمن أهمية البحث في:

- الغوص في التجربة الإبداعية للكاتبة الجزائرية الشابة والمعاصرة "ديهية لوبز".
 - البحث في أشكال الصراع التي وردت في الرواية والتي شكلت بنيتها العامة، وهذا بدراسة الشخصيات ورصد أهم تحركاتها في الفضاء الروائي العام.
 - التعريف بأدب الشباب في الجزائر والتأكيد على أنه طاقة فاعلة تتطلب كثيرا من الاهتمام والدراسة.
- ولهذا فإن البحث ينطلق من سؤال محوري هو: كيف تشكّل الصراع في رواية "جسد يسكنني"؟ ولماذا اعتمدت عليه الروائية كعنصر فاعل في بناء عملها الروائي؟

1-التعريف بالروائية: ديهية لوبز روائية جزائرية من مواليد 1985 بولاية بجاية، بدأت بنظم الشعر قبل أن يتحوّل اهتمامها إلى الرواية في سن 16، أصدرت مجموعتها الشعرية الأولى "جسد يسكنني" عام 2012، وفي عام 2013 أصدرت روايتها الثانية بعنوان "سأقذف نفسي أمامك"، كما شاركت في نفس السنة في مجموعة قصصية باللغة الأمازيغية مع عدد من الكتاب الجزائريين والمغاربة والليبيين، في عام 2016 نالت ديهية لوبز جائزة محمد ديب القديرة للرواية باللغة الأمازيغية، كما شاركت في العديد من التظاهرات بالجزائر وخارجها، وفي شهر جوان من عام 2017 توفيت بعد صراع كبير مع المرض.

2-الفضاء العام للرواية: تناولت الرواية قصة البطلة فريدة، الطالبة التي التحقت بجامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، لتتال شهادة الليسانس في اللغة والأدب الفرنسي، وفي عامها الدراسي الثالث، في ذات صيف من عام 1992، تقنّعها والدتها بالزواج وتكوين العائلة، ولم يكن أمامها إلا الرضوخ للفكرة واقتناعها أنه في النهاية لا بد من تجربة

الزواج عاجلاً أم آجلاً، مرّ كل شيء بسرعة، لكن تجربة زواجها لم تدم غير شهر واحد، لأنّها اكتشفت خطأ القرار الذي اتخذته، ولهذا قرّرت الطلاق والانفصال عن زوجها والعودة إلى الجامعة لإكمال دراستها، وهذا ما تسبّب في مرض أمّها وموتها، ثم حدث ما لم تحسب له فريدة حساباً وحذرتها منه أمّها، فقد أصبحت حاملاً وهي طالبة جامعية مطلقة، ولهذا قرّرت فجأة التخلي عن ابنتها "أحلام" مباشرة بعد ولادتها وتسليمها لزوجها حسين بعد أن اشترطت عليه أن يسجّلها باسمه واسم زوجته سعدية وألا يخبرها بحقيقة أمّها، أمّا هي فقد واصلت دراستها وتحصّلت على شهادتها، وفي أثناء ذلك تعرّفت على كريم ثم على محمد اللذان ساعداها على تجاوز محنتها. لقد تزوّجت فريدة من محمد الرجل الذي كانت تعمل في محلّه، والذي كان يعشقها في صمت، ولكن زواجها لم يكتمل، لأنّ محمد قرّر أن يتركها في ليلة زواجهما بعد أن فضّل الانتحار لأسباب لم تعرفها فريدة إلا لاحقاً، بعد أن ترك لها رسالة تفسر لغز انتحاره و دوافعه بأنه كان يعرف تماماً أن فريدة لن تسامحه، لكنّه متأكّد أنها ستجاوز حزنها وستركض وراء الحياة مثل عادتها. عاشت فريدة تتجرع من خيباتها وآلامها، ولقد تمكّنت من إعادة بناء حياتها لأنّها أصبحت الوريثة الوحيدة لزوجها محمّد، وبعد سنوات تلقى صدفة بابنتها "أحلام" ولا تخبرها بالسرّ الذي تخفيه وأنّها أمّها الحقيقية، وتقرّر إسعادها من بعيد، وأن تحقّق لها كل أحلامها مادامت لم تستطع تقديم حنان الأم وعطفها، واكتفت بمراقبة سعادة ابنتها من بعيد وفرحها بالهدايا التي ترسلها لها دون أن تعلم مصدرها، واستمرت على تلك الحال والنّدم يعصر قلبها إلى أن ماتت في حادث سير تاركة رسالة لابنتها تشرح لها سبب تخليها عنها طالبة منها السماح، وهو الشّيء الذي لم تستطع أحلام أن تفعله وأن تغفر لأمّها التي تركتها لأنّها ترى أنّه لم تكن يوماً أمّاً صالحة.

3-تعريف الصراع:

عرّف ابن منظور الصّراع لغة فقال: "الصّرع: الطّرح بالأرض، صارعه فصرعه يصرّعه صرعا وصرعا وصرعة: كثير الصّرع لأقرانه يصرعُ النّاس" (منظور، 2008)، والصراع في معجم "علم النفس" هو "حالة انفعالية مؤلمة تنتج عن النزاع بين الرغبات المتضادة، وعدم قضاء الحاجات أو عدم السماح في رغبة مكبوتة بالتعبير عن ذاتها شعوريا" (عاقل، 1979)، فلا وجود للصراع النفسي دون تضاد الرغبات أو عدم تحقيقها، وهو ما يحرك الحالة الانفعالية ويجعل الشخص يعيش في صراع نفسي حاد، وهذا ما جعل فرويد يعتبر الصراع "علاقة مضطربة بين قوتين متضابنتين: قوّة تريد التّحقّق وأخرى تقف على طرف نقيض، حيث تعيق هذه الرّغبة من التّحقّق والإشباع" (عيسور، 2013)، فالصّراع ينتج دائما عن تضارب للرغبات؛ بين ما نسعى لتحقيقه واكتسابه وبين ما

نفّر منه ونبتعد عنه، فإذا لم يحقّق الإنسان رغبته فإنّه سيواجه حالة من الخيبة والانكسار وهو ما يولّد فيه الصّراع النفسي أو الصّراع مع غيره الذي يقف حاجزا بينه وبين غايته.

وفي معجم العلوم الاجتماعية يشير الصّراع "إلى الموقف الذي يكتسب فيه منبه ما قيمتين متناقضتين أحدهما إيجابية والأخرى سلبية" (عشوي، 1999)، وما نستطيع استنتاجه من خلال التعريفات السابقة أنّ الصّراع عند علماء النفس والاجتماع عبارة عن تصادم رغبتين أو قيمتين متضادتين، يترك عدم تحقيق الرغبة المطلوبة اضطرابا نفسيا واجتماعيا، أو صراع داخلي يترك ندبة وألما عميقا في الشخص الذي تتصارع نفسه من أجل تحقيق وإشباع رغبته.

4- أشكال الصراع في الرواية:

تعالج رواية "جسد يسكنني" للروائية الجزائرية دهبية لويز أشكالا مختلفة من الصراع، انطلق من الصراع مع الذات، ثم إلى الصراع بين المرأة والرجل وبين الرّيف والمدينة وبين العادات والتقاليد الذي يجسّد الصّراع الحضاري بين الأمس واليوم وبين القرية والمدينة. حاولت الروائية طرح مجموعة من العلاقات المتصارعة في المجتمع الجزائري؛ وخاصة المجتمع الأمازيغي، عن طريق إظهار مجموعة من الصراعات التي أنتجت عقدا كثيرة لم يتم حلّها عبر كل المسار الروائي .

كانت ميزة رواية **جسد يسكنني** أنّها وظّفت تقنيات الفن الروائي، فقامت برسم الأحداث والشخصيات بطريقة تستدرج القارئ وتدفعه للغوص فيها ومتابعتها حتّى النهاية، خصوصا أنّها تعتمد خاصية السرد الحكائي الذي يركّز على أشكال متعدّدة من الصّراع، عن طريق البطلنة "فريدة" التي تروي حكايتها بين الماضي والحاضر، واعتمدت على إعطاء قيمة للحدث الذي يتحرّك ويتطوّر مشكّلا خطّا دراميا استمرّ حتى النهاية.

يمثل الصّراع البؤرة الرّئيسية في الرواية، كونه المسيطر على أحداثها والمتحكّم في شخصياتها، فقد حاولت الروائية "دهبية لويز" رسم معالم الصّراع الذاتي والصّراع بين المرأة والرجل وبين المدينة والرّيف، ولقد كان الصّراع الذاتي من أشدّ أنواع الصّراع؛ كونه أشدّ عنفا وتأثيرا على شخصية البطلنة وعلى أحداث الرواية، فقد ساهم الصّراع الداخلي للبطلنة مع ذاتها في خلق صراعات نصيّة أخرى تجلّت على مستوى باقي الشخصيات.

4-1 الصّراع مع الذات: تتصارع الذات في الرواية وتتنازع فيها مجموعة من الهواجس والآلام النفسية، فهي ذات قلقة وتائهة بين الماضي والحاضر؛ الماضي الذي حاولت دفنه في القرية والحاضر الذي تتبعه وتسيره لعنات الماضي وأخطاؤه، إنّ ذات "فريدة" ذات متصارعة، تسيطر عليها مجموعة من المشاعر المتضاربة، فهي تائهة بين التّدم والبحث عن طريقة للتخلّص من أرق الماضي ومن الأخطاء التي وقعت فيها، إنّ ذات فريدة لم تعد تفهم

نفسها، بعد أن شقت لنفسها طريقا ظنّت أنّه سيكون عنوانا لسعادتها وتحرّرها، وإذا بها تفقد عنوان تلك السعادة الضبابية المتلاشية، وقد كان ذلك منذ قرارها التخلي عن ابنتها في سبيل دراستها ونيل الشهادة الجامعية التي كانت تلهث وراءها، اعتقادا منها أنها مفتاح سعادتها، ولكنها اكتشفت متأخرة أنها مجرد ورقة، فقد صرّحت بأننا "نرى الأشياء مهمة قبل أن نحصل عليها، لكن بمجرد الوصول إليها تبدو تافهة. قبل حصولي على شهادتي الجامعية كنت أراها أهم شيء، ولها الأولوية بحياتي، لكن ما إن حصلت عليها حتى أهملتها ونسيتها في مكان لم أعد أذكره، حتّى أنها لم تصلح يوما في شيء، سوى كمقدمة تعارف مع شخصية مهمّة تهتم بالمستوى الدراسي أو الثقافي" (لوزير، جسد يسكنني، 2012، صفحة 81)

كان الصّراع واضحا في الرواية وهذا لأنّ النصوص الروائية المعاصرة تلامس جوهر القضية الإنسانية بتركيزها على الذات، وإبراز انشغالاتها وخصوصياتها، الغوص في ثنائها واستجماع شظاياها المتناثرة عبر الزمن. إنّ شخصية "فريدة" تمثّل ذاتا متصارعة في أعماق نفسها، فهي مضطربة في اتخاذ قراراتها، وقاسية مع نفسها، وهو ما جعلها تعاني في صمت أمام كل خطوة تتخذها في حياتها، إنّها تضحيّ بنفسها من أجل الآخرين وتضحي بالمقابل بالآخرين من أجل نفسها، وهذا بسبب عنادها الشّديد في اتخاذ قراراتها، فعند قبولها الزواج بحسين كان من أجل إرضاء رغبة أمّها وتحقيق حلم أن تراها عروسا سعيدة في بيتها، فرغم كلّ التفاصيل وافقت على الزواج من حسين وفي هذا تقول "لا أنكر أن موال أمي بأنها تريد أن تفرح بي قبل أن يأخذ الله أمانته زاد من قناعتي، أمي المسكينة التي ترى في الزواج الحياة الهنيئة" (لوزير، جسد يسكنني، 2012). لكن هذا الزواج لم يدم طويلا، ولهذا فعند قرارها الانفصال لم تفكر في أمّها، إنّما كانت أنانية وعنيدة كعادتها، تقول فريدة: "كنت ربّما السبب الرئيسي في مرض أمي، كان زواجي الفاشل ضربة قوية لها، انهارت تماما بعد طلاقي وإصراري على رفض العودة إلى حسين رغم أنني أحمل طفله، لم تتوقّع يوما أن تجلب لها ابنتها فضيحة من الوزن الثقيل وتجعلها محور الأحاديث في القرية، كانت متأكدة من سعادتي عندما تزوجت، ولم تترك نصيحة إلا وأملتها عليّ في السبيل التي تسعد الرجل و بالتالي الاحتفاظ به" (لوزير، جسد يسكنني، 2012، صفحة 39).

لكن هذا لم يسعف لأم فريدة شيئا فكلّ محاولاتها في الحفاظ على زواج ابنتها وعلى استقرارها كانت فاشلة، لأنّ فريدة فضّلت هذه المرة الانصياع لذاتها لا غير، وفضّلت أخذ القرار الذي تراه مناسبا لها، رغم أنّه لا يناسب أمّها ولا زوجها حسين، ولهذا فقد كانت تصرّ على أنها لا تستطيع التنازل أكثر، فهي لم تكن مستعدة لتضحي بكل شيء من أجل شفاء أمّها، رغم حبّها الكبير لها.

إنَّ الصِّراع مع الذات هو أشد أنواع الصراع وأكثرها تأثيراً على النفس، فهو يُوَدِّي إلى عتاب داخلي عنيف ينطلق من النفس ويعود إليها، إنَّه تصادم النفس مع هواها ومع أحلامها وآلامها، ولهذا فإنه يكون شديد الوقع على الذات وعلى الأنا، فهو إلى جانب تلقّي النفس للمعاناة الخارجية، تصطدم بمعاناة أعنف وأشد هي المعاناة الداخلية، حيث تتصادم الذات داخليا وتنتج بؤرا من الصراع المرير والشديد والذي لا تخفّ حدّته إلا إذا زالت أسبابه، وإنَّه بمثابة نزيف داخليّ للذات الإنسانية المتصارعة داخليا، وهو سبيل الهروب من الحاضر ورفضه ومحاولة التخلص من تبعات الماضي وترك كلّ شيء، وهو السلاح الذي ستلجأ إليه الذات الداخلية لتثبت وجودها خارجيا، ولتقنع غيرها بصحة تصرفاتها، وهذا ما تصرّفت به البطلة "فريدة" التي اعتصرت الآلام في داخلها، ورغم ذلك فإنها لم تستطع مصارحة ابنتها أحلام بحقيقة وجودها وبأحقية أمومتها، إنها تستمر في تعذيب ذاتها والابتعاد عن العالم الحقيقي الذي يجب أن تكون فيه وتواجه حقيقته، ولكنها فضّلت الابتعاد والعيش على الهامش، فهي لم تعد قادرة على المواجهة كما لم تكن في يوم من الأيام: "لهذا قرّرت أن أبقى بعيدة عن حدودك، وأكتفي بطيفك ليخفّف من وحدتي" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 121).

إن الصِّراع مع الذات هو صراع الذات الإنسانية كلّها، إنَّه أقوى أنواع الصِّراع لذات الشخصية بـ"إفساحه لها متسعا للروح، وآفاقا للتحدّث عن التجربة، وإفراغ جعبتها، ممّا يشكّل لمعات سوداء تقض المضطجع، وتُغص عليها العيش" (طرابيشي، 1997)، ففريدة ورغم ما وصلت إليه من تكوين مادي لشخصيتها بعدما أصبحت مالكة لأكبر محلات التجميل في المدينة (بجاية)، إلا أن شبح الصِّراع الداخلي ظلّ يلاحقها ويزعج حياتها، فالماضي يظلّ ينبش الحاضر كلّما حاولت الهروب منه، ولهذا فالهروب إلى الكتابة هو الوسيلة الوحيدة لمحاولة التغلب على الصراع الداخلي ف "وحدها الكتابة تضع بعض الهدوء في قلبي المنهك من كدمات القدر، تنسيني وحدتي والفراغ الذي يخلفه كل من أحببتهم: أمي، أبي، أنت ثم محمد، لا أدري إن كان القدر قد قرّر أن يجعل من لوحته الوحيدة لوحته الكئيبة" (لويز، جسد يسكنني، 2012, p. 106).

4-2 الصراع بين الرجل و المرأة: كان الصراع بين الثنائيتين المتضادتين المرأة/الرجل من أقوى أنواع الصراع الذي ظهر في النص، وهو الصراع الذي تحكّمت فيه العادات والتقاليد، وقد تجسّد في النص من خلال شخصيتي فريدة وحسين، وقد بدأ منذ أن أعجب حسين "الفلاح البسيط" بفريدة "الفتاة المتعلمة"، إنهما لا ينتميان إلى المستوى الدراسي ذاته، ففريدة طالبة جامعية، وحسين شاب فلاح ذو مستوى تعليمي بسيط، وقد بدأ الصِّراع منذ أن قبلت فريدة فكرة الزواج التي عرضها عليها حسين، ولهذا فلم تكن "تصدّق أنّ حسين قد يفكر يوما في الزواج من فتاة تدرس بالجامعة، ذلك الفلاح البسيط الذي لم يكمل دراسته لأنّه رجل البيت الوحيد بعد وفاة والده في حادث"

(لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 30)، ولهذا تتساءل البطلة في دهشة: "ما الذي يملكه حتى يفكر في الزواج؟ أين سيسكن؟ مع والدته في منزلهم المتهرئ؟ ثم أن يختارني أنا أمر غريب، يبدو أنني لن أنزل إلى مستواه، لن أرضى بفلاح زوجا لي أشاركه أفراحي وأحزاني لما بقي من حياتي، ثم إنني لم أكمل دراستي، وفكرة الزواج كانت غائبة مؤقتا من مشاريعي، أنا التي أملك طموحا يفوق حجمي الصغير، أرضى بحسين؟" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 30).

إن الفارق والمستوى التعليمي بين حسين وفريدة كان له تأثيره الكبير على العلاقة الزوجية التي جمعتهم، ففجأة لم تصدق فريدة أنها تنازلت عن أحلامها ودراستها، وأنها قبلت بحسين زوجا لها، وهذا ما دفعها إلى السعي إلى الانفصال بعد شهر فقط من الزواج، وهو ما لم يعارضه حسين، فقد كان سلمي الموقف، و لم يسع إلى الحفاظ على زواجه من فريدة ومحاولة إقناعها بالبقاء والاعتذار منها من تصرفه الفض معها في أول ليلة بينهما، وإصلاح الأمور بينهما، خاصة وأن أمه كانت تلج عليه بالطلاق والبحث عن زوجة غير متعلمة، فهي التي ستساعده وتبني له أحلامه، ولم يظهر موقف "حسين" إيجابيا إلا عندما حاول إقناع "فريدة" بعدم التخلي عن ابنتها، وبتعجبه من قرارها التخلص منها وتسليمه إياها، وهنا يظهر موقف حسين -الرجل غير المتعلم - أكثر رزانة و حكمة من فريدة، فموقفه كان الاحتفاظ بابنته وليس التخلي عنها، وهو ما لم تستطع فريدة القيام به، فموقف حسين تجاه فريدة وتجاه ابنته كان موقفا يبين أن الصراع الذي كان أساسه المستوى التعليمي هو صراع مزيف، فالتعليم لا يعكس مرتبة الشخص إنما المبادئ هي التي تحكم في النظرة إلى الشخص، وهو ما بينه حسين بكلامه الذي وجهه لفريدة حين رفضت ابنتها بعد الولادة بينما قبل هو الاحتفاظ بها: - " طبعاً سأخذها، أنت لا تملكين قلباً، لا أدري كيف أحببتك يوما" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 36).

فالصراع الذي كان أساسه التعليم قد تغير إلى صراع آخر أساسه المبادئ، فحسين رغم عدم إكمال تعليمه إلا أنه يحظى بتفكير سليم، سمح له بالتوازن في اتخاذ قراراته المتعلقة بالآخرين أو بابنته، ورغم أن قرار الطلاق قد تعامل معه بسلبية إلا أن قرار الاحتفاظ بابنته كان إيجابيا، لأنه يتعداه إلى غيره، وهو "ابنته"، وهو ما لم تستطع فريدة (المرأة المتعلمة) القيام به، بل إنها فضلت تسليم ابنتها لطليقها حسين بمنتهى البرودة، فقد تخلت فجأة عن دورها كأم، وفضلت إكمال دراستها على أن تمنح الحنان لابنتها، وهذا كان نتيجة لعناد فريدة، وصراعها الداخلي، ولهذا فهي تصرح لابنتها قائلة لها في الرسالة التي تركتها لها: "إن كنت سأجد أعداءا لنفسي، فسأقول أن أحلامي وطموحاتي كانت مسيطرة تماما على تفكيري وعطلت لفترة من الزمن حواسي، كل شيء كان يعتمد على

غيابك من حياتي، قد نقولين لماذا لم أفكر في العودة إلى حسين، كان ذلك مستحيلا آخر لم أستطع حتى مجرد التفكير فيه" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 37).

فالعلاقة المتصارعة بين المرأة والرجل في النص أو بين المستوى الأنثوي والمستوى الذكوري، قد صنع عامل المفارقة وهو ما طرح مشكل الاحتفاظ بالمولود وترتيبه ثانيا، وهو الملمح الذي صنع عنصر المفارقة، بافتراضها وجود طرفين موجب وسالب، فاعل ومنفعل.

كانت العلاقة المتصارعة بين المذكر والمؤنث بارزة في النص، وفي الوقت الذي كان يجب أن تخف حدة الصراع وتعود الأمور إلى طبيعتها، وتقبل فريدة الاعتراف بأومة ابنتها، يظهر الاتجاه العكسي، فتتخلى عن ابنتها، وفي المقابل يظهر حسين الزوج الذي يعترف بأبوتّه ويرفض التخلي عن ابنته، بل إنّه يتوسّل من فريدة التراجع عن قرارها والعودة إلى صوابها، وهو ما لم يحدث وما لم تستطع فريدة التنازل عنه لصالح ابنتها.

تبدو شخصيتا المذكر والمؤنث شخصيتين متصارعتين في الأفكار والمبادئ وفي النفسانيات، وهو ما يبرز الاختلاف الفكري بينهما، وغلبة إيجابية التفكير للرجل غير المتعلّم على سلبية التفكير للمرأة المتعلمة، وهذا النوع من الصراع يظهر أنّ طبيعة "القص ما بعد الحداثي يحاول أن يقرأ الواقع كما هو بكلّ تشظّيه وتناقضاته، وينقل صراع الشخصيات الفكرية والنفسية" (عطية، 2001، صفحة 34)، وهذا ما يظهر في قول فريدة واصفة موقف حسين منها عندما قرّرت التخلي عن الطفل: "كان حسين مندهشا أو حتى مذعورا من اقتراحي، لم يتصوّر للحظة أن الجسد الذي عشقه تكون مواقفه مرعبة إلى هذا الحدّ، أيّة امرأة تتخلى عن فلذة كبدها بطريقة فضيحة كهذه وتقطع أيّ احتمال لتتغيّر الأمور يوما" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 37). لقد عدّدت فريدة الأمور بتصرفاتها وقرارها الذي وصفه حسين بالمرعب، ولم تسع لتغيير مجرى الأمور بل زادتها تعقيدا، دفعت بها نحو التآزم والصراع.

4-3 صراع المرأة مع المرأة: يشكّل صراع المرأة مع المرأة جزءا مهما في الرواية ويتجلّى في ثلاث صور أساسية هي: صراع فريدة مع أمها، صراع فريدة مع ابنتها وصراع فريدة مع حمايتها.

4-3-1 صراع فريد مع أمها: يظهر صراع فريدة مع أمها منذ أن قرّرت الطلاق من حسين، وعدم الاستماع إلى توسّلات أمها، التي كانت تطلب منها وتتوسّل أن تحافظ على علاقتها الزوجية وتتراجع عن قرار الطلاق، وتتصحها بأنّ الزواج هو ما سينفعها وليس الدراسة، فالمهم - حسب أمها- هو أن تستر نفسها فقد -" حان الوقت لتؤسسي منزلا و تستقري مع زوج صالح

-إني أحدث عن مستقبلك ومصلحتك" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 29)

إنّ ما كانت تراه الأم "زينب" مستقبلا واستقرارا كانت تراه الابنة "فريدة" من زاوية أخرى ومن تفكير معاكس، فما كان عند الأم الاستقرار والأمان هو عند فريدة القيود وعدم الرّاحة.

كان قرار فريدة في الانفصال والطلاق بعد شهر من زواجها بمثابة الطّعة التي وجّهتها لأمّها، تلك المرأة المسكينة والمتواضعة التي لا ترجو لابنتها غير السّعادة والهناء، تكافئها ابنتها بخبر نزل عليها كالصاعقة، فحين "رأيتي أمّي بتلك الحالة أصيبت بانهيار عصبي وأغمي عليها، لا أدري إن كنت ستصدقيني يا أحلام، لكنني لم أشعر بالذنب لمرضها، كانت حياتي هي الثمن لسعادتها ولم أكن حينها مستعدة لدفعه" (لوزير، جسد يسكنني، 2012، صفحة 35).

إنّ السعادة التي تبحث عنها الأم "زينب" هي السّعادة التي تراها فريدة تعاسة، لم يكن مبدأ الأم وابنتها مشتركين، ولم تسع البنت لتحقيق سعادة أمّها على حساب سعادتها هي، ولم تكن مستعدة من أجل ذلك، ففريدة تدرك جيّدا عاقبة تصرفاتها وأثر ذلك على أمّها، ولكنّها أصرّت على أن تركب موجة هواها، وألا تستمع إلّا لنفسها ولطموحاتها: "كنت ربّما السبب الرئيسي في مرض أمي، كان زواجي الفاشل ضربة قاسية لهذا انهارت تماما بعد طلاقي وإصراري على رفض العودة إلى حسين رغم أنّي أحمل طفله، لم تتوقع يوما أن تجلب لها ابنتها فضيحة من الوزن الثقيل وتجعلها محور الأحاديث في القرية" (لوزير، جسد يسكنني، 2012، صفحة 39).

كان الصّراع الأثنوي الذي ظهر بين الأم "زينب والابنة "فريدة" حادًا، حتى أنّ الأم لم تتمكن من تحمّل ذلك، فماتت حزنا وقهرا من تصرفات ابنتها، وهو ما تكرّر بعد ذلك في العلاقة بين الأم "فريدة " وابنتها "أحلام".

4-3-2 صراع فريدة مع ابنتها: ظهر صراع فريدة مع ابنتها أحلام منذ أن تخلّت عن ابنتها، ولكنّه ظهر إلى السّطح منذ أن بدأت تحسّ بالندم على تركها لابنتها، فقد كان ضميرها يعاتبها على كلّ لحظة لم تتمكن فيه من احتضان ابنتها لأنّها غير قادرة على إرجاع الزمن إلى الوراء وتغيير قرارها في التّخلّي عنها، لكن القرار الذي اتخذته كان حاسما ولم تستطع التّخلي عنه أو محاولة مراجعة نفسها، إنّما اكتفت بالندم في آخر المطاف ومحاولة مساعدة ابنتها من بعيد دون أن تشعر بذلك، فقد كان الندم يعتصرها، لكن ذلك لم يمنعها من محاولة العيش والمضي في مشوارها الذي من أجله كانت في عداوة مع الجميع، وكانت تعيش لحظاتها الجميلة مع ابنتها في خيالها، فخلال كل "تلك السنوات لم أنس أن أحتفل بعيد ميلادك وحدي أشعل الشمع و أطفئه، وحدي أغني لك في عيد ميلادك الأول، الثاني، الثالث، الرابع...كنت أتمزق كل لحظة وأنا أتصوّرُك تنادين سعيدة "يمّا"، تهرعين إلى حضنها كلما شعرت بالخوف، ربّما لن تصدّقي يا أحلام أنّي أحسد سعيدة عليك، أحسد حسين أيضا، تراه عرف كيف يكون أبا صالحا؟ أكيد...فهو لا يعرف غير ذلك" (لوزير، جسد يسكنني، 2012، صفحة 107).

يظهر الصراع بين فريدة وابنتها أحلام في أوجّه عندما عرفت أحلام الحقيقة وتعرّفت على أمّها الحقيقية التي لم تتل منها قبلة ولا نظرة ولا حضنا دافئا، فقد كانت أحلام تُكِنّ لأُمّها الكره الشديد كونها لم تعترف بأُمومتها لها وتخلّت عنها دون مشاعر ودون ذرة حنان أو عطف، وهذا ما جعل أحلام ترفض مسامحة أمّها على ما ارتكبته في حقها، وتلومها بشدة على تركها لها مرتين، وهو ما جعلها تعجز عن مسامحتها: "كيف لي أن أسامحها؟ هي المرأة التي لا تقهر لا تملك الشجاعة لتواجهني وتقول لي بكل جنونها: أنت ابنتي يا أحلام، ابنتي التي سكنت جسدي يوما ما . كيف أسامحها وهي المرأة التي تخلّت عني مرتين، مرة بإرادتها ومرة سرقتها الموت قبل أن أفرغ بوجهها طوفان كلماتي" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 124).

ولّد معرفة أحلام لحقيقة أمّها صراعا داخليا لم تستطع تجاوزه، لأنها تركت فيها غصة كبيرة، خاصة أنها اكتشفت السرّ بعد موت والدتها الحقيقية، وهو ما لم تتحمّله، إنها ليست بحاجة إلى أموالها أثناء غيابها، بل هي بحاجة إلى حنانها حين كانت على قيد الحياة، ففريدة كانت تحلم بحياة جميلة هادئة لابنتها، ولكن يبدو أنها لن تفلح في ذلك حتى بعد موتها المفاجئ، فقد تركت ابنتها تتخبط في أحزان كبيرة ولم تستطع تجاوزها رغم مرور عامين من وفاتها، وكأنّها تدفع ثمن أفعالها وعنادها حتى بعد موتها، رغم أنها ماتت متحسرة على ابنتها.

إن الصّراع الذي كان بين فريدة وابنتها وإن كان صراعا غير مباشر، إلا أنّه كان صراعا شديدا، لأنّه استمرّ حتّى بعد موتها، وكأنّها خلّقت لتعيش الصّراع وماتت لتترك صراعا آخر وراءها، ينغصّ حياة ابنتها التي ضحّت من أجلها، والتي كانت حلمها ومنبع طاقتها، لقد اختارت لها اسم أحلام لتحقيق من خلاله ما لم تحقّقه في الواقع: "جئت إذن طفلة وكان الاسم الأول الذي خطر على بالي وأنت بين ذراعيّ هو أحلام، اسم أردته أن يشفع لي يوما جريمتي فيك ويختصر في أحرف عمرا من الحسرة" (23). (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 49).

أصرت فريدة على أن يكون اسم ابنتها هو أحلام تيمنا به، علّه يحقّق لها ولابنتها الأحلام التي تسعى إليها بأيّ ثمن، ولهذا فقد كانت متمسّكة بالاسم كثيرا ولا تتخيّل اسما آخر لابنتها غيره، و لهذا ألحّت على حسين بألا يبدّل اسم ابنتها مهما حدث، لكن الاسم الذي اختارته لم يشفع لها ولابنتها أخطاء عنادها وقراراتها التي تحدّث بها العادات والتقاليد، لأنّها كانت في مجتمع يرى ضرورة بقاء المرأة في بيتها، فذلك صلاحها وليس مستواها التعليمي، الذي كانت تسعى إليه بكل الطرق.

3-3-4 صراع فريدة مع حماتها: لم تكن علاقة فريدة بحماتها "حسنة" علاقة جيدة منذ الأيام الأولى لخطبتها لأنها لم تكن راضية على فكرة ارتباط ابنها بزوجة متعلمة: "بعد إصرار حسين جاءت جدتك إلى منزلنا مكشّرة الوجه ولوحة غضب مرسومة على ملامحها، تحدثت مع أمي بشبه سرية، عندما همت بالخروج قذفت في وجهي

نظرة لم أستطع أن أمحوها من ذاكرتي" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 29)، لقد كان إصرار حسين على أن يخطب فريدة وإلحاحه الشديد على أمه هو ما جعل "حسنة" تقبل بهذا الزواج ، وإلا فإنها لم ولن تفكر يوما بزوجة ابن متعلمة.

إن الزوجة التي كانت تحلم بها "حسنة" لابنها حسين هي "زوجة رائعة الجمال وعالية الأخلاق، طبعاً الأخلاق بمفهومها الخاص بما في ذلك إطاعة الأوامر بصمت وعدم المعارضة عن شيء و، كثيرة هي الأخلاق عندها" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 28). إن الشيء الذي يقلق "حسنة" ويجعلها تنفر من ارتباط ابنها ب "فريدة" هو المستوى الدراسي الذي وصلت إليه فريدة، إنها متخوفة من كيفية التعامل معها، فبالنسبة لها أن المرأة المتعلمة لا تتقاد بسرعة، ولهذا فقد بدت سعيدة جداً عندما قرّرت فريدة العودة إلى منزل والدتها "زينب" بعد أن أخذت أشياءها القليلة وخرجت من بيت حسين وكانت تشعر بنظرات حسنا وهي تتبعها إلى الباب وإحساس داخلي يقول لها أنها ستطير من الفرح ، خاصة أن حسين لم يكن هناك ليقنعها بالبقاء.

يبدو أن الصراع الذي نشأ بين فريدة وحمااتها حسنة صراع ثقافي، أو صراع بين مستويين تعليميين مختلفين؛ المستوى العلمي (الجامعي) لفريدة في مقابل أمية حسنة، تلك العجوز التي ترى أن التعليم عيب على المرأة وأن مكانتها الصحيحة هو البيت ، كي تخدم زوجها وتلبي شؤون عائلتها، كما أن حسنة تخاف من عجزها عن السيطرة على فريدة وتسييرها حسب أوامرها، ولهذا فقد بدت حسنة في غاية الرضا والسعادة لأنها ستختار لابنها زوجة أخرى تراها أنسب له ولها : "كنت أعرف أن حسنا تفضل سعيدة، فهي لم تدرس إلا الابتدائي بذلك تبقيها تحت سيطرتها" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 35). لقد أدى المستوى الدراسي لفريدة إلى إيقاعها في مشاكل كبيرة، فهل هذا عائد للبيئة التي نشأت فيها؟ أم أنه عائد إلى عناد فريدة وتمسكها بقراراتها التي اختارتها لنفسها ، وعلى رأسها مواصلة التعليم، لقد وجدت فريدة نفسها في مأزق كبير، فإن هي اختارت هواها فقدت اتصالها بمجتمعها(القرية)، وإن هي اختارت القرية وعاداتها فقدت الاتصال بذاتها وبالعالم الآخر(المدينة)، إنها بين خيارين أحدهما أصعب من الثاني .

تجلّت ملامح الصراع بين المرأة المتعلمة وغير المتعلمة، في العلاقة بين فريدة وحمااتها، وهي العلاقة المتنافرة، والتي وصلت إلى درجة الانسداد، نظرا لنظرتها المختلفة إلى الموقف؛ ففريدة ترى ضرورة أن تتعلم المرأة وتعتمد على نفسها ولا تكون عالة على مجتمعها، بينما ترى حسنة أن دور المرأة يقتصر على إدارة شؤون البيت، ولا يتعداها إلى غير ذلك، وانطلاقاً من هاتين النظرتين المختلفتين ظهر الصراع والاصطدام في اتخاذ القرارات وتحديد المسؤوليات.

4-4 الصراع بين الرجل والرجل: تمثلت العلاقة المتصارعة بين الرجل والرجل، في الصراع الخفي الذي كان بين "محمد" زوج فريدة وبين "سليم" صديقها القديم (السابق) الذي عرفها بمحمد وعرض عليها العمل في محله ليساعدها على تجاوز محنتها، إن الصراع الخفي الذي كان بين سليم ومحمد لم تكتشفه فريدة إلا بعد إقدام زوجها على وضع حد لحياته، فقد قرر محمد أن يترك فريدة في أول مشوار زواجهما، تاركا لها رسالة يشرح فيها السبب الذي دفعه إلى الانتحار؛ فقد ارتدت فريدة في ليلة زواجها فستانا كانت قد اشترته من عند سليم، وهو ما جعل محمد يثور في صمت ويحس بكرهه الشديد لفريدة أو أنه حاول أن يكرهها، ولكنه لم يستطع، فقد أحبها كثيرا دون أن يخبرها بذلك، لكن غياب فريدة جعلها لا تلاحظ حب محمد لها، بل إنها حطمت ذلك الحب دون علم منها، فكان الفستان الذي ارتدته في ليلة زواجها هو بمثابة شؤم غير كل حياتها: "...و الليلة بالتحديد قررت أن تضعيه بيننا بذلك الفستان، لم أستطع أن ألمسك، كنت خائفا أن أجد رائحته فيك، حاولت أن أكرهك لهذا السبب لكنني لم أفجح، حتى أنني كنت أبحث لك عن أعذار تشفع لك جريمتك، كان حبي لك أقوى ورغبتني بك أعنف، رغم أنني لم أستطع التهام جسدك حتى هذه الليلة وأنت زوجتي أخيرا" (لويز، جسد يسكنني، 2012، صفحة 98).

كان الصراع الذكوري في النص حادًا وقويًا وإن كان يبدو أنه صراع صامت وخفي، حتى أن فريدة لم تكن تعلم شيئا من غيرة زوجها محمد الشديدة عليها وحب الكبير لها، فقد كان محمد رجلا كتوما ولا يبوح بمشاعره، إنما كان يكتفي بالصمت والتأمل وانتظار أن يعلم الآخرون بما يحس دون أن يخبرهم بذلك، فقد كانت دهشة فريدة كبيرة عندما قرأت رسالة زوجها وعرفت من خلال اعترافه أنه يعشقها حتى الموت، ولكن ذلك كان متأخرا لأن محمد كان قد مات، وكأن الأقدار تشاء أن تتعذب فريدة طوال حياتها، حتى مع زوجها الذي أحبها واختارها زوجة له رغم أنها امرأة مطلقة ومتخلية عن ابنتها، ففريدة لم تستطع إعادة بناء حياتها مجددا وكأن الأقدار تتلاعب بها أو كأن لعنات الماضي والقرية والتحدي الذي اختارته في مواصلة مشوارها الدراسي، كل ذلك بات يلاحقها وينغص عليها حياتها ويجعلها في صراع دائم بقي مستمرا حتى بعد وفاتها.

5-خاتمة:

في ختام هذه الدراسة، خلصنا إلى النتائج التالية:

* جعلت الروائية من الصراع محرّكًا أساسيًا للأحداث، وعنصرًا بنيويًا أسهم في تشكيل الشخصيات وتوجيه مساراتها، حيث بدا الصراع الذاتي لدى البطلة فريدة الأكثر حضورًا وتأثيرًا، إذ تشعبت عنه صراعات أخرى نفسية واجتماعية وثقافية، عمّقت مأساة الشخصية وأكسبت النص بعدًا إنسانيًا دالًا.

* جسّدت رواية "جسد يسكنني" الصّراع بين المرأة والرجل، فقد صوّرت أعماق المرأة وسعيها المستمر لتحقيق ذاتها وتجاوز العقبات الاجتماعية الكثيرة التي تحيط بها، وكان من أهم العقبات التي مثّلت صراع المرأة وتحديّها هي عقبة الرجل أو العقدة الرجولية التي لم تستطع المرأة تجاوزها، إنّما ظلّت أشكال الصّراع توضح أنّ العلاقة الجدلية بين المرأة/الرجل علاقة مستمرة ولا تستطيع المرأة تجاوزها، خاصة أنّها مرتبطة بنظرة المجتمع وبالعادات المتغلغلة فيه والتي تحمل في طيّاتها النظرة الدونية إلى المرأة رغم التظاهر بغير ذلك، وهذا ما يتضح من خلال سعي البطلة "فريدة" إلى كسر مجموعة من القيود الاجتماعية، إلّا أن محاولاتها كانت تقابل دائمًا بالفشل رغم التضحيات التي تقدّمها في سبيل ذلك، ولهذا تتقاطع أشكال متعدّدة من الصّراع في الرواية فهي ليست مجرد سرد حكاوي لتجربة أنثوية فردية، لأنّها تتجاوز حدود الذات لتلامس البنى الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، فقد نجحت الروائية في ربط الصراعات الداخلية للشخصيات بالتغيّرات الاجتماعية، وإعطاء صورة حيّة ومعقّدة لصراع الشخصيات وتفاعلها مع الأبعاد النفسية والاجتماعية.

* جسّدت الشّخصيات الرئيسية للرواية وعلى رأسها البطلة فريدة صراعات داخلية عميقة نبعت من رفضها للعادات والتقاليد التي فرضها عليها المجتمع وتمرّدها عليها.

* دفعت التحوّلات الاجتماعية الأحداث الروائية نحو التعقيد، لأنّها أثّرت كثيرًا على تطوّر الشّخصيات وعلى قراراتها.

* كان الصّراع الثّقافي حادًا في الرواية، فقد ساهم في ظهور مجموعة من العقد المتشابكة والتي تحكمت في مصير الشخصيات وفي تحركها في الفضاء الروائي، أمّا الصّراع النفسي فكان أشدّ أنواع الصّراع، إذ سيطر على البطلة فريدة وجعلها تعاني ضغطًا شديدًا أثر على باقي شخصيات الرواية.

* عكست الرواية قيم المجتمع الجزائري وتصارع الأجيال، ولهذا كانت مرآة عاكسة لتحولات المجتمع من خلال صراع المرأة وكفاحها من أجل تحقيق ذاتها. وقد كشفت نتائج البحث أن الصراع في الرواية لم يكن صراعاً عابراً، بل جاء معبراً عن أزمة المرأة المعاصرة بين طموحها الفردي وضغط الجماعة، وبين الرغبة في التحرر وسلطة العادات والتقاليد. كما أظهرت الدراسة أن التناقض بين القرية والمدينة، وبين التعليم والأمية، وبين الذكورة والأنوثة، شكّل شبكة من التوترات التي حكمت مصير الشخصيات، وأسهمت في تعقيد بنيتها النفسية والسردية، وانتهت إلى مآلات مأساوية تعكس انسداد الأفق أمام محاولات التمرد غير المتوازنة.

* ومن خلال تتبع مظاهر الصراع المختلفة، خلص البحث إلى أن الروائية نجحت في جعل الصراع مدخلاً لقراءة التحولات الاجتماعية، ومن الذات الأنثوية مرآة تعكس تعقيد التجربة الإنسانية في سياقها الثقافي والاجتماعي.

قائمة المراجع:

- 1- ابن منظور محمد بن مكرم، (2008)، لسان العرب، بيروت، لبنان، ط6، دار صادر.
- 2- سعيد عيشور نادية، (2013)، الصراع الاجتماعي: الاتجاهات التنظيرية: التقليدية والسيولوجية، عمان، الأردن، دط، دار المجدلاوي.
- 3- طرابيشي جورج، (1997)، شرق وغرب، أنوثة ورجولة، دراسة في أزمنة الجنس والحضارة في الرواية العربية، بيروت، لبنان، ط4، دار الطليعة.
- 4- عاقل فاخر، (1979)، معجم علم النفس، بيروت، لبنان، ط3، دار العلم للملايين.
- 5- عشوي مصطفى، (1999)، مدخل إلى علم النفس، الجزائر، دط، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 6- عطية محمود، (2001)، ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، عمان، الأردن، ط1، الوراق للنشر والتوزيع.
- 7- لويز ديهية، (2012)، جسد يسكنني، الجزائر، ط2، ثيرا للنشر، بجاية.